علي باشا ابو الفتوح

فقدت مصر في آخر العام الماضي رجلاً من نوابغ رجالها وهو المرحوم المأسوف عليه علي باشا ابو الفتوح وكيل نظارة المعارف العمومية. فشق نقده على رجال الحكومة والمعارف فيها واجتمعوا لتأبينه في الرابع من فبراير في دار الجامعة المصرية بدعوى من لجنة رئيسها صاحب السعادة شكري باشا احد مستشاري محكمة الاستئناف الاهلية وبنته اصحاب السعادة شكري باشا واحمد باشا حلمي ناظر المعارف واسمعيل باشا صدقي وكيل الداخلية وحضرة محمد بك حلمي عيسى وكيل الادارة القضائية في نظارة الحقانية وحضرة ابرهيم بك الهلباوي وحضرة ابرهيم بك لطفي السيد وحضرة المسيو واتيه سكرتير المستشار القضائي بنظارة الحقانية ورثاه سعادة اسمعيل باشا صبري وحضرة حسن بك نبيه المصري وحضرة حافظ بك ابرهيم

وقد اقتطفنا مما قيل في تأبينه ما يتعلق منه باشغاله العلمية

قال سعادة شكري باشا «ان الفقيد ينتسب الى اسرة كريمة المحتد عريقة في المجد قد رزقها الله من فضله شيئاً كثيراً ومالاً وفيراً ومع ذلك لم يلهه تكاثر المال ورغد الحال عن طلب العلم وتحصيله من احسن وجوهه ولقد حصل منه على قسط وافر حتى صار ركناً كبيراً من اركان النهضة العلمية وعضداً قوياً في تقدم الامة المصرية»

وقال سعادة حلمي باشا ناظر المعارف

«فقدت البلاد وخسرت المعارف بموت الفقيد رجلاً نبغ في مصر بعلمه وعمله بعد ان ابقى في الغرب اثراً له مذكوراً حيث كان في الغرب موضع الاعجاب بذكائه طالباً متعلماً وكان في الشرق مثالاً قائماً للجد والاخلاص في العمل»

وقال سعادة اسمعيل باشا صدقي وكيل الداخلية

«قضى فقيدنا الشطر الاكبر من حياته العمومية في وظائف القضاء فكان من نبوغه فيها ما صار احدوثة الخاصة والعامة ثم تعين مديراً لجرجا دون ان يتدرج في الوظائف الادارية فكان من فعاله في وظيفته الجديدة ما جعل الملأ يشهد له بعلو الكعب في اعمال الادارة وما لبثت مقدرة الفقيد ان تجلت حتى ما كان احد يشك في انه من نوابغ الادارة كما انه كان من نوابغ القضاء

علي باشا يوالفتوح

المقتطف صفحة ٢٥ مجلد ٤٤

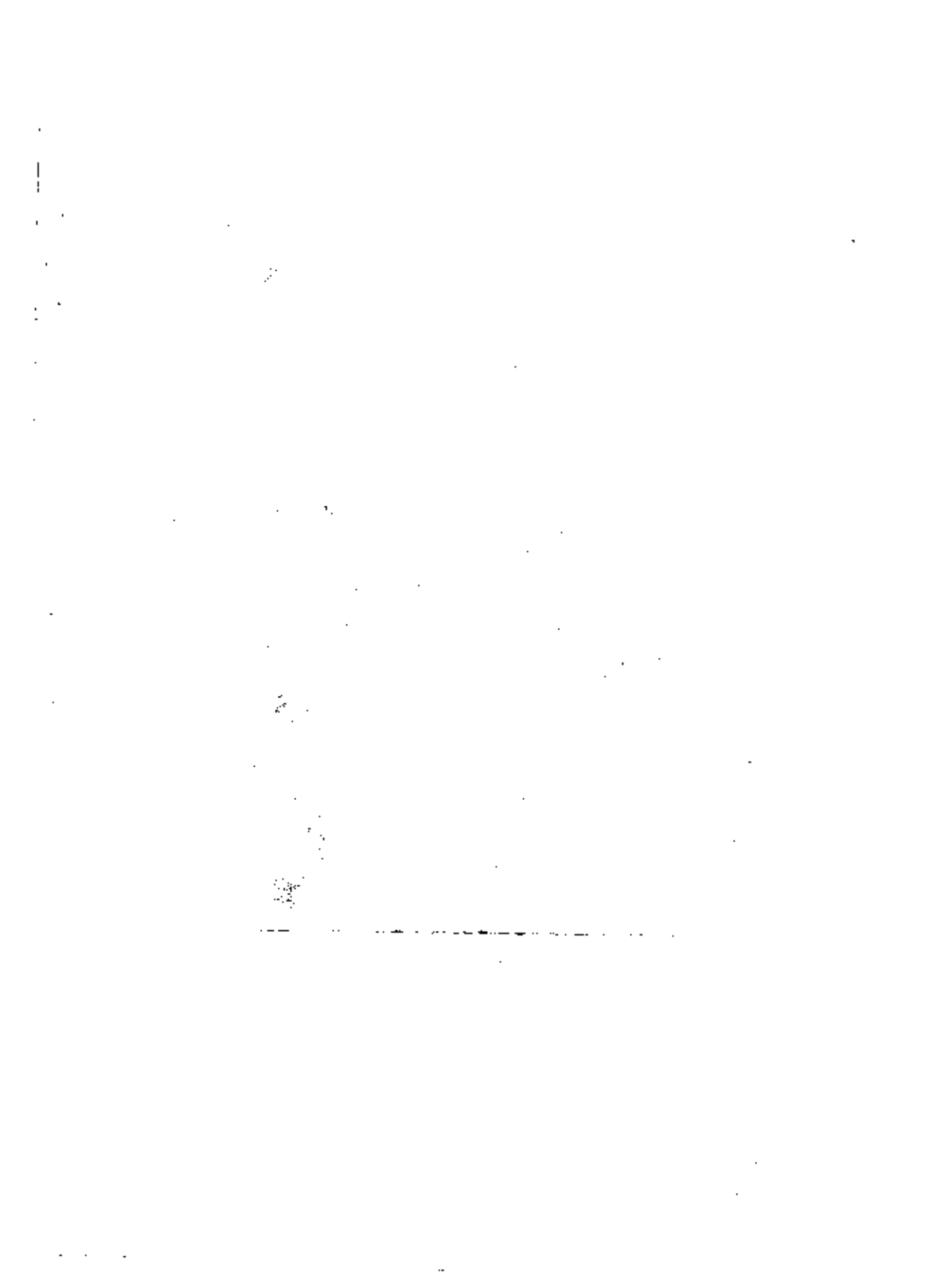

« حل الفقيد بمديرية جرجا ولم يمض على ذلك وقت طويل حتى تحسن الامن في تلك المديرية ونزلت الطمأنينة بقلوب الاهالي ولم تكن هذه النتيجة مبعثة عن القسوة والعنف بل عما كان يرسمهُ الفقيد لنفسهِ من المبادئ الحكيمة والطرق القويمة وما حسن مبدأ الصلح بين العائلات الذي اتخذه في حسم كثير من المشكلات واعتمد عليهِ في وضع حد للضغائن التي كثيراً ما تؤدي الى اوخم العواقب ببلاد الارياف فنجح في تنفيذهِ نجاحاً استحق عليهِ شكر جميع سكان المديرية

« تولى الفقيد مديرية جرجا فجعل همهُ نشر التعليم في ربوعها وقد ساعدهُ في ذلك تحسين نظام مجالس المديريات وتوسيع اختصاصها فلم يمض زمن طويل حتى عمت الكتاتيب والمدارس كل انحاء المديرية بالرغم من قلة موارد المجلس وصعوبة القيام بهذا العمل الجليل

« وهذه مذكرة عن الاعمال التي قام بها المرحوم علي باشا ابو الفتوح لنشر التعليم بمديرية جرجا منذ تعيينهِ مديراً لها في ١٠ مارس سنة ١٩٠٩ الى ان تولى وكالة المعارف في ١٥ ابريل سنة ١٩١٢

« ١ انشئت مدرسة صناعية زراعية بسوهاج اكتتب لها اهالي المديرية في سنة ١٩٠٩ وساعدها مجلس المديرية حيث منحها اعانة مبلغ ٥٠٠ جنيه في كل من سنتي ١٩١٠ و١٩١١ وافتتحت هذه المدرسة في اوائل اغسطس سنة ١٩١٠ وبعدها تنازل مجلس ادارتها عنها لمجلس المديرية

٢ انشأ (أ) مدرسة للمعلمين بسوهاج

ب مدرستين ابتدائيتين احداهما بطما والاخرى بالبلينا

ج ستة كتاتيب راقية منها كتّاب للبنات بسوهاج

٣ وقد تحول في عهدهِ على المجلس ادارة خمس مدارس اخرى ابتدائية للبنين بجهات سوهاج — وجرجا — واخميم — وطهطا — والمنشاه — ومدرسة للبنات بسوهاج و ٣٤ كتاباً عادياً مشتركاً للبنين والبنات

٤ وفضلاً عن ذلك فانهُ خصص خمسة معاهد يلقى بها دروس ليلية للعامة

٥ ولقرر ايضاً ايفاد ارسالية من اثنين من الطلبة لتلقي الدروس العالية باوربا

٦ وفوق ذلك فقد اعان المجلس ١٠ مدارس ابتدائية للبنين ومدرستين للبنات بجهات مختلفة وكذلك اعان ٨ كتاتيب مشتركة بين البنين والبنات »

وقال حضرة محمد بك حسني عيسى

« ذهب الفقيد الى المعاهد الاوربية لاتمام دراسته فاختار كلية مسليه بفرنسا ليدرس بها الحقوق ثم عاد الى مصر كما تعود الزعامة الى صاحبها سنة ١٨٨٠ كما كان محبًّا لوطنه غيورًا على دينه حريصًا على لغته لم ينسها ولم يتضاءل بسبيانها ولم يتوان يومًا في الاعتزاز من انقاذها والعمل على رقيها والتنقيب عن مستحدثات جديدة للمخترعات الحديثة بها وكان من ضمن اعضاء اللجنة التي شكلت اخيرًا بنظارة المعارف لهذا الغرض

« لم يلهه ذلك عن اتقان اللغة الفرنسية والاشتغال بالتحرير بها نظرًا لما وجد في مصر من القوانين الحديثة والنظامات المفيدة في مجلات اوربا ليطلع عليها رأيها العام او للدفاع عن مصر فيما اخطأ كتّاب اوربا في تحقيقه او لم يهتدوا لحقيقته

« وقد كان ذلك هو السبب في دخوله في كثير من المجتمعات الاوربية والمؤتمرات العلمية والداعي لان خطب وده كثير منها

« قرأ يومًا في مجلة جمعية الاتحاد الدولي لقوانين العقوبات فصلاً عن القانون المصري لاحد علماء الالمان احتوى على بعض الاغلاط فلم يتردد في بيانها وارسال تقرير بما شاهد الى الجمعية فأعجبت به وقدرته قدره وطلبت منه ان يندمج في سلك اعضائها ويعدها بما يجد من التعديل والتغيير في القوانين المصرية ففعل واخذ من ذلك الوقت يبعث لها بتقاريره المملوءة بالتحقيقات العلمية وكان بذلك خير واسطة لايضاح الحقائق وشرح الاغراض الصحيحة من وضع القوانين

« وآخر تقرير كتبهُ باللغة الفرنساوية تقرير ارسلهُ وهو مدير جرجا الى مؤتمر القوانين الدولية الذي انعقد ببروكسيل وكان عنوانه

(مبدأ حالة خطر المجرم على الهيئة الاجتماعية وتطبيقهُ على التشريع الجنائي المصري)

« رأى وهو في مهد الدراسة ان المصري في البلاد الاوربية لاهم بما لا يفيدهُ مشتغل بما لا ينفعهُ فألف جمعية سماها جمعية التقدم المصري وهي اول جمعية أنشئت لتؤلف بين القلوب وتحض على التواد وتعمل على اصلاح النفس وتهذيب الخلق ولما عاد الى مصر نقل مركزها اليها وجعل غرضها لفت المصريين الى ما يدور في الاوساط الاوربية من المباحث العلمية والمذاهب الحديثة الاقتصادية وانشأ لها مجلة شهرية تنشر ما يلقى من الخطب وتدون ما يكتب من المقالات فتتبارى بذلك الشبيبة في ميدان الخطابة وتتسابق في مضمار الكتابة

« احتجبت المجلة وما احتجب قلم الفقيد بل اخذ ينشر ما يوحيه اليه وجدانه ويمليه عليه ضميره من المبادىء العمرانية والمسائل الاجتماعية والمباحث القانونية في المجلات العلمية بمصر كمجلة الموسوعات والمجلة المصرية والمجلات الاوربية ثم يعربها لقومه بلغتهم في الصحف السيارة ليستفيدوا بفوائدها

« عرّب من عهد بعيد كتاباً في الاقتصاد السياسي للعالم «جيفونس» مع بعض رفاقه ثم اعاد نشره في صيف العام الماضي واهداه الى كثيرين من اصدقائه ومحبيه لانه كان طول حياته شغفاً بدراسة المسائل الاقتصادية ما اطلع على مبحث هام له نفع عام الا ونشره ليطلع عليه قومه وكان همه بالاخص اصلاح حال الفلاح وتحسين حالة المزارع الصغير كتب في ذلك المقالات العديدة ومن اخصها ما كتبه في موضوع الربا والحض على درئه وتخفيف ويلاته ووصف الادواء الناجمة لاتقائه

« ومما وضعه انشاء بنك زراعي لتسليف الفلاح ما يحتاجه من المال بفائدة مشروعة والعقاب على الربا الفاحش استئصالاً لشأفته وابادة لجرثومته ولقد صدق نظره وحققت الايام غرضه فانشئ البنك الزراعي وصدر قانون يقضي بالعقاب على الربا الفاحش

« اشار كذلك الى تربية الفلاح تربية اقتصادية وتدريبه على طريقة التدبير في المعيشة وعدم الالتجاء للاقتراض الا لضرورة شديدة ولم يكن في هذا السبيل قولاً بل كان كذلك فعلاً

« سعى لتحقيق هذا الغرض وهو مدير فسلك سبيلاً هو من خير السبل لتحقيق اغراض الحكومة التي تسعى بجد في هذا الطريق واني لأدع لسانه يحدثكم بما كان يعمله

قال رحمه الله ضمن مقال نشر في ٢٩ يناير سنة ١٩١٢

« وقد بذلت جهدي كلما سنحت الفرصة في جمعيات العمد والمشايخ في نصح المزارعين وتحذيرهم من الهوة التي يلقون فيها انفسهم كما اني في مكاتب مجلس المديرية ومدارسها اكدت على المعلمين في بث روح الاقتصاد والتبصر في نفوس التلاميذ واعطيتهم قطعاً منظومة في هذه الموضوعات ليحفظوها في جملة ما يحفظونه بعد ما يشرحونها لهم الشرح الكافي »

« هذه لمعة صغيرة اتيت بها للدلالة على اغراضه العمرانية فانتقل لذكر لمعة مثلها من جهة اغراضه القضائية فالوقت لا يسمح بالافاضة في القول

كان رحمه الله يرمي في مباحثه القانونية الى اصلاح الجناة وتحسين حال المجرمين

والعمل على انقاذهم من شر الإجراء والوقوع في شر اكبر مرة اخرى وكثيراً ما حضر من حضر ذلك المؤتمرات وقرأ شتات المؤلفات ثم نشر خلاصة ابحاثه في مقالات تناقلتها الصحف

« ومما امتاز به انهُ كان اول المبادرين باذاعة القانون المعروف بقانون برانجيه في مصر وتبني العمل به وهو القانون المشهور الخاص بايقاف التنفيذ بالنسبة للمحكوم عليهم في بعض جرائم معينة وقاية لهم من السقوط في وهدة الاجرام اذا لوث شرفهم وبدست افكارهم بالاحتكاك في السجون بالمجرمين كما انهُ كان من اول المقترحين لادخال الوعظ الديني في السجون ولقد تحقق العمل في مصر بأمرين نص قانون العقوبات المصري المعدل في سنة ١٩٠٤ على مبدإ ايقاف التنفيذ على المحكوم عليهم بالحبس وقررت الحكومة الوعظ الديني في السجون

« وما كانت اقتراحاتهُ هذه الأ نتيجة من نتائج حضورهِ المؤتمرات الاوربية ومقابلتهِ العلماء في سياحاتهِ في اوربا

اقترح القانون الاول عقب صدورهِ بفرنسا واقترانهِ باسم صاحب القانون والتعرف به

« واقترح الامر الثاني عقب حضورهِ مؤتمر حماية المحكوم عليهم وكأنهُ عز عليهِ ان تبقى امتهُ محرومة من ثمار مجهودات الغربيين وان تبقى ساكنة راكدة لا يحرك فيها ماء ولا يهب هواء ينعش حياتها وما الحياة الأ حركة لتجدد وانفاس تتصعد

« ساح في اوربا مراراً بعد اتمام دراستهِ وتنقل في ربوعها فما اضاع وقتهُ في لهو ولعب . شاهد ولاحظ وتأمل وقارن وكتب لامتهِ خواطرهُ يحضها على العمل ويبعث فيها روح الامل يصف لها ما يشاهد من عناصر الحياة واسباب الرقي لتاخذ بها ويحضر المؤتمرات العلمية ليقتبس منها ما يفيد ويدعوها لادماج محاسن الغرب بمحاسن الشرق والتنقيب عن المبادئ الشرعية الاسلامية المناسبة للزمان والمكان لتكون مصدراً من مصادر التشريع في مصر حتى يكبر احترام القوانين في النفوس وتكون اشد موافقة لاخلاق وعادات من وضعت لهم

« ومن اشهر كتاباتهِ في هذا الموضوع رسالة عنوانها « الشريعة الاسلامية والقوانين الوضعية » أبان فيها كثيراً من مباحث فقهاء الاسلام . فقرير المبادئ العمرانية والاجتماعية والقضائية وقارن بينها وبين ما يقابلها من المبادئ الحديثة الغربية

« هذا بعض من كل مما كنت أتيت به على سبيل المثال تأييداً لما ذكرت من الاقوال

ويسرني ان احيط علم حضراتكم بأني قد علمت ان جميع نشات قلم جمعت في كتاب على حدته كان شرع في وضعهِ قبل وفاة الفقيد الذي كان يراجع ويحقق عباراته بنفسه وهو على فراش موته . وقد تولت طبعهُ مطبعة المعارف وانمت اليوم طبعهُ

« على ان المباحث القولية لم تكن هي وحدها آثار الفقيد التي تذكر بل كما كان يكتب كان يعمل فاشترك في كثير من الجمعيات والمؤتمرات الهامة في مصر وفي اوربا وكان عضواً في جمعية الاتحاد الدولي لقوانين العقوبات وعضواً لجمعية السجون الفرنساوية وغيرها في اوربا

« اما في مصر فاشترك بنفسهِ في كثير من المشروعات كنادي المدارس العليا الذي القى فيهِ محاضرات ثمينة وقت ان كان رئيساً للجنة القضائية كما اشترك في تأسيس الجامعة المصرية وكان عضواً في مجلس ادارتها ثم عضو شرف فيها وكان عضواً عاملاً في جمعية رعاية الاطفال وفي كثير من الجمعيات الاخرى التي يطول ذكرها

« انشأ وهو مدير لجرجا مدرسة صناعية زراعية من احسن مدارس القطر وسبع مدارس ابتدائية للبنين ومدرسة للبنات ومدرسة لتعليم الكتاتيب وخمسين كتاباً لانهُ كان يعلم ان التعليم مهذب للنفوس مانع للاجرام »

وقال سعادة اسمعيل باشا صبري

عز الكرام وشاطرهم رزيتهم فانهم بالتعازي اخلق الناس
وألق دمعك في تيار ادمعهم ووحد الرزء في مصر وبلقاس
واخلع عذارك فالاشجان آسرة وما على من يطيع الامر من باس
ولا يغرك في البلوى ثباتهمُ كم من رفيع الذرى فوق اللظى راسي
هم الاولى لطعوا في الحزن اودية يضل ان سار في اقطارها الآسي
يخالهم من رآهم في مضاجعهم سكرى وما ذاك من دنّ ولا كاس
جلّت مصيبتهم عن ان يكون لها عرض سوى الهم اوطول سوى الياس
ابا الفتوح ومن ناداك جاوبهُ من جانب اسمك نفح الورد والاس
ان اصبحت مصر منك اليوم خالية فما لعهدك فيها الدهر من ناس
هل كان يومك فينا غير يوم مضى كانت كباراً فامست طي ارماس

هذا وقد نشرت الجرائد اليومية كل ما قيل في تأبين الفقيد نثراً ونظماً فاجتزينا منهُ بهذا القدر